

الاتفاقات الخاصة حول اقتسام مياه أنهار الهلال الخصيب بين التنازع والتكامل والحق الطبيعي



خليج الاسكندرون



مشروع جنوب شرقي الاناضول



سد أتاتورك

قد غاب طوال الستينات، وهذا ما سيطلع بشكل عام السنوات اللاحقة حتى الاحتلال الأميركي للعراق.

أما على الجانب التركي، فقد أعلنت تركيا عام 1977 إطلاق مشروع جنوب شرقي الأناضول، وضعت بعد ذلك مخططه الشامل وأنشأت مؤسسة عامة لإدارته عام 1989. وما ثبت موقع تركيا الإقليمي في السياسة العربية قيام الثورة في إيران عام 1979. وسنحت اتفاقات هذه المرحلة وطرفوها وفق التقسيم الزمني كما سيأتي.

ثمانينات القرن العشرين: تميزت هذهالسنوات باحتجاجات دائمة كان يوجهها العراق والجمهورية السورية إلى الأترك لمحاولة كبح انطلاقا مشروع جنوب شرقي الأناضول. وفي هذه الحقبة، بدأت تركيا ببناء منشأتها الكبيرة تنفيذاً لمشروع الـ G.A.P... وفي 1984 بدأت فيها ثورة حزب العمال الكردستاني PKK المسلحة وكان أوجلان قد أسسه عام 1978 في أنقرة بهدف إنشاء دولة كردية مستقلة. وقد كلف قمع الثورة ترحيل مئة ألف شخص وتدمير 4000 قرية عشية المشروع غير المملنة، ولم تنته ثورة أوجلان إلا باتفاق أضنت عام 1998 كما سنرى.

إن مشروع جنوب شرقي الأناضول استهدف أولاً بناء منشآت مائية كبيرة ليصبح مشروعاً تكاملياً ضخماً لتطوير دجلة والفرات في ست مقاطعات أهمها ملطغ أورفا، مردين، ديار بكر، ويطاول مسطرة عديدة ويتوسع مع الزمن وفق خطط تلحق إكمالها إلى حتى عام 2010 ثم حتى عام 2023. يقع المشروع في المنطقة الأقر في الجمهورية التركية، وهي القسم الشرقي من المنطقة المسلوخة عن سورية زمن الانتداب الفرنسي. ويستهدف، وبكلفة تتجاوز 32 مليار دولار، إنشاء 22 سداً (انتهى ستة منها حتى الآن) و19 محطة توليد كهربية، وكان الأميركيون قد نصحوا بالسدود الكبيرة وليس الصغيرة كما أرادها الأترك أصلاً. كما يستهدف ري 1.6 مليون هكتار (تم تغذية 215 هكتار فقط حتى الآن) وإنتاج 20 في المئة من الكهرباء التركية كإنتاج بديل من النفط (وقد صرح بميريل رئيس الوزراء التركي إن هذا هو نطف تركيا) وخلق 3.8 وظيفة عمل وإسكان 10 ملايين نسمة في المنطقة، وهم ضعف السكان الحاليين.

وفي تصور الأترك أن هذا المشروع «سيجعل من تركيا القوة الرئيسية في الشرق الأوسط»⁷ وأما قال مدير معهد المياه وسلة الفتح في الشرق الأوسط... أو كما قال مدير معهد الجحوث في السياسة الخارجية «ستضحي احتياجات المياه أكبر فأكبر، ومشروع G.A.P يعني بيع المياه بصيغ أخرى» وهذا ما يؤكد أسوأ المخاوف السورية والعراقية⁸. إضافة إلى دور إقليمي طرحه تورغوت أوزال رئيس الوزراء التركي عام 1986 لإقامة مشروع أنابيب السلام وهدفه إرواء ثعاني دول عربية⁷، وهو مشروع لم يصل إلى أية نتيجة. واستفادت تركيا من الخلاف السوري العراقي لمد أنابيب نفط عراقية من الموصل إلى الاسكندرون داخل الحدود التركية بدلاً من الخط الذي يصل إلى ساحل الجمهورية السورية والذي توقف العمل به عام 1983. وانتهى العمل بالخط الجديد نهاية 1990 وقدرت طاقته ب3٠ مليون برميل نفط يومياً أي ما يعادل نحو 30 في المئة من صادرات الشرق الأوسط من النفط⁹. ولمشروع الـ G.A.P آثار سلبية عديدة طالت بيئة ما بين النهرين بمختلف أوجهها الإنسانية والحيوانية والنباتية، من دون دخول تفاصيلها.

وقد تميزت مرحلة الثمانينات بمحادثات ثلاثية دامت من 1982 إلى 1992 وببرابر بروتوكولين واتفاق حول حصص مجموعة معاهدات الأمم المتحدة، رقم 104، ص 376.
2 Recueil des traités. vol.37. traité n.580. 1949. p. 279 – 331
3 جي. أ. الن وشبلي، ملاء، المياه في الشرق الأوسط، مكتبة الدراسات الشرق أوسطية الحديثة – الناشر تاوريس للدراسات الأكاديمية 1995 لندن، ترجمة محمد أسامة القولتي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق 1997، ص. 248 – 249
4 Tigres et Euphrates «Entre Deux EAUX. 14 janvier 2009. http://entre2O.free.fr

مراجع

- مجموعة معاهدات الأمم المتحدة، رقم 104، ص 376.
- Recueil des traités. vol.37. traité n.580. 1949. p. 279 – 331
- جي. أ. الن وشبلي، ملاء، المياه في الشرق الأوسط، مكتبة الدراسات الشرق أوسطية الحديثة – الناشر تاوريس للدراسات الأكاديمية 1995 لندن، ترجمة محمد أسامة القولتي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق 1997، ص. 248 – 249
- Tigres et Euphrates «Entre Deux EAUX. 14 janvier 2009. http://entre2O.free.fr

صفحة الدراسات في «البناء»، أنشئت لتكون مساحة للأبحاث العلمية المتعلقة بشتى المواضيع ذات الصلة في قضايا الأمة والعالم العربي.

وهي إذ تتسع لمثل هذه الدراسات تبقى مجالاً مفتوحاً للحوار وطرح الإشكاليات الفكرية والسياسية وغيرها، تنشيطاً لدور الثقافة في الصيرورة الاجتماعية. علماً أن الآراء التي ترد على مساحة الصفحة تعبر عن أصحابها وليست بالضرورة مطابقة لقناعات الصحيفة.

إلا أنه انطلاقاً من القناعة الراسخة بضرورة خلق حوار فكري حول القضايا والإشكاليات كافة وما أكثرها، والتي تفرض نفسها على صاحب القرار والمثقف وقادة الرأي والمواطن في أي موقع كان، كانت صفحة الدراسات في «البناء» هي الترجمة العملية لهذه القناعة أملين أن تشكل هذه الصفحة مساحة فكرية - سياسية تعنى بهوم الوطن والمواطن، تدرس الحاضر لترسم المستقبل.

خليل خيرالله*

بنتمية تكاملية لحوض الفرات بكامله، وبالتالي مع مشروعات الدول الثلاث المستقلة عن بعضها، حاولت منغلتمان دوليتان، منظمة الإغذية والزراعة (عام 1964) والبنك العالمي للإعمار والتنمية، إقناع البلدان المشاطئة لإيجاد صيغة تعاون إقليمي لتطوير مياه الفرات ووضع خطة تنمية واحدة، من دون جدوى. ثم حاولت موسكو إقناع الجمهورية السورية والعراق للبدء بمشروع مشترك ثم أصرت على اجتماع لجان مشتركة منهما في أيار 1967 لكن أيضاً من دون جدوى. أما المحادثات التي أجريت منذ عام 1962 حتى مطلع السبعينات فقد حاولت إيجاد اتفاق حول اقتسام المياه، وكان: بين الجمهورية السورية والعراق (1962 – 1974) وبين الجمهورية السورية وتركيا (1962 – 1971) بين الدول المتشاطئة الثلاث (1965 – 1971)

في عام 1964 عرضت تركيا على الجمهورية السورية اتفاقاً مقابل حول مياه نهر العاصي الذي يصب في خليج اسكندرون وهو اللواء السوري الذي تخلت عنه فرنسا المنتدبة لمصلحة تركيا عام 1939، وقد رفضت دمشق هذا العرض الذي يعنى أيضاً الاعتراف بهذا الإحاق. وأثناء المفاوضات عام 1965 طالب الأطراف الثلاثة بحصص تنفق منسوب نهر الفرات بمره نصف؛ وقد شهد عاما 1966 (انقسام في فترات البعث) و1967 (عام النكسة) تردى العلاقات بين العراق والجمهورية العربية السورية واختلف الطرفان على حصصهما في المياه، إذ بينما طالب العراق بحصة 16 كم مكعب لم توافق الجمهورية السورية إلا على مرور 9 كم مكعب إلى الأراضي العراقية.

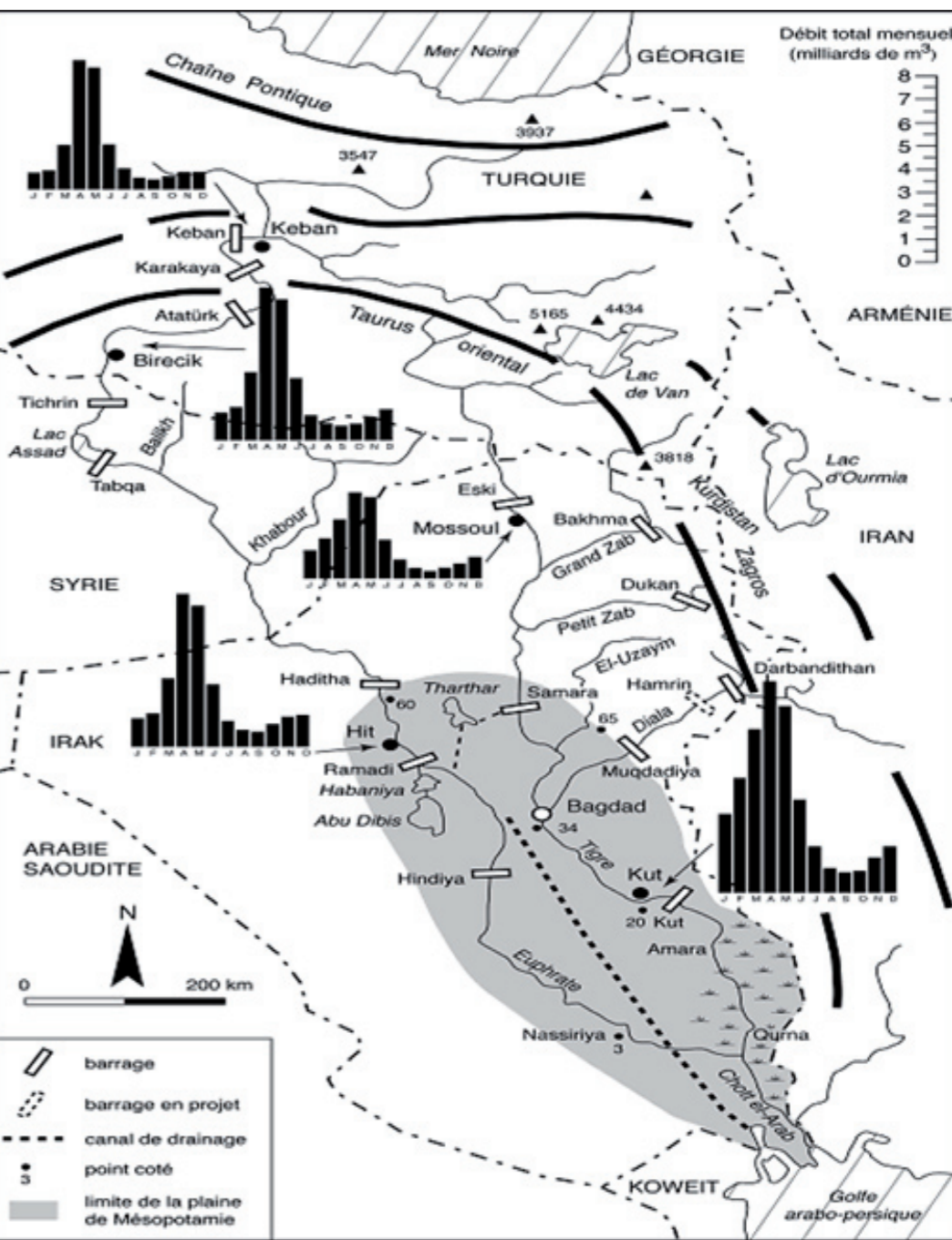
بروتوكول التعاون الاقتصادي والفني بين العراق وتركيا 1971/ 1/ 17

خلاصة هذا البروتوكول أتت في المادة 3 والتي اتفق فيها الطرفان على أن يسرعاً على أسرع وقت ممكن بالمحادثات حول المياه المشتركة. والملاحظ أن هذه المحادثات، حتى عام 1973، كانت تستهدف حصصا في المياه ولم يكن لأحد القدرة على تعديل هذا المنسوب، حتى ظهرت السدود الكبرى بدءاً من هذا العام، وتسببت الحاجة إلى ملئها في كسر واقع مائي دام منذ ما قبل التاريخ الجلي، فبدأت مرحلة من النزاع المكتشف والقلق على المستقبل أولا هرمان بلدان أسفل النهرين من المياه وأخره النخصر.

مرحلة إنشاء السدود الكبرى ومشروع جنوب شرقي الأناضول G.A.P.

هذه مرحلة نراها بدأت عام 1973 ولما تنته بعد. بدأت دراسات مشاريعها الكبرى في الستينات تاركة فكرة التنسيق المشترك بين دول دجلة والفرات وراءها. وفي هذه المرحلة بدأت النزاعات تشتد مع ظهور أزمة المياه بشكل حاد، على رغم محادثات ثلاثية دامت من 1972 حتى 1974، وغابت الاتفاقات حتى الثمانينات. وكانت قد شهدت المنطقة عدم استقرار سياسي كان له أبلغ الآثار على مسألة اقتسام المياه إضافة إلى القلق الذي تسبب به مشروع تطوير جنوب شرقي الأناضول.

كان العراق قد وضع قبل غيره برنامجاً لتطوير الفرات. في عام 1973 اكتمل إنشاء سد كيبان التركي الضخم الذي استغرق بناؤه تسع سنوات وبدأ الأترك بملئه. وفي عام 1974 بدأت الجمهورية السورية بملء سد البليقة حاصراً بحيرة الاسد، في فترة تميزت بالجفاف، ومن دون أي تنسيق حول ملء هذين السدين، ما دفع العراق إلى تصعيد كاد يشعل الحرب مع الجمهورية السورية. لولا تدخل الطبيعة وغازرة الأمطار في آذار من ذلك العام وارتفاع المنسوب الطبيعي للفرات. وفي عام 1975 تحرك العراق أيضاً بحجة أنه لا يحصل إلا على منسوب من المياه أقل أربع مرات من المعتاد، فتدخلت الجامعة العربية ثم السعودية والقرب الفريقان من الحرب ونقلت دمشق فرقا عسكرية من الجبهة الفلسطينية باتجاه العراق، وبضبط سوفياتي توصلنا إلى اتفاق سرى ليحصل بموجبه العراق على 58 في المئة من المياه التي تصل إلى الجمهورية السورية عبر الحدود التركية. لكن على رغم هذين الحادتين فإننا نستطيع أن نلمح تنسيقاً في الموقف السوري – العراقي تجاه تركيا كان



السياسة المائية لدول جوار العراق وانكاساتها الاقتصادية والاجتماعية

المعتاد فانقطعت المياه عن العراق، ما أحدث ضرراً كبيراً طاول الاقتصاد العراقي وتوترأ حداً بين تركيا والعراق وقلقا في الجانب السوري كون الفرات هو النهر الوحيد الكبير الذي يروي ثلثي مجموع الأراضي المروية في الجمهورية السورية ويشكل مصدراً أساسياً لزراعتها. وكان بوش الأب، رئيس الولايات المتحدة الأميركية، قد طلب من تركيا قطع المياه عن العراق كسلاح ضاغط في حربه فلم تستجب بل ورفضت مبدأ استخدام القوات الغربية للقواعد الجوية التركية لتوجيه ضربة عسكرية جوية للعراق لمعاقبته على رفض حكومته السماح لبعثة الأمم المتحدة بدخول وزارة الزراعة... كان هذا موقف تركي لافت سارع اليه دي ميريل بعد قطع العراق أنابيب النفط وتفاوضه مع الأردن، عقب انتهاء حرب الخليج الأولى في شتاء 1991 على مد أنابيب بطول 900 كم حتى خليج العقبة لتصدير النفط عبرها. وكانت خسائر تركيا من توقف عاداتها من النفط العراقي المتدفق من الموصل إلى الاسكندرون حوالي 600 مليون دولار.

وتفجع الموقف التركي أكثر إذا علمنا أن بناء سد أتاتورك استنزف الموازنة التركية وأنهك اقتصادها «وربما كان هذا ما دعا تركيا إلى العمل على إعادة الجسور مع العراق لتوفير مصادر تمويل من الرسوم التي تتقاضاها عن مرور الخام العراقي عبر أراضيها في حين أن المشروع التركي بدأ يتحول إلى سلاح ضد العراق وسورية معا¹⁴. إضافة إلى العداء الإيراني العراقي للتحرب من العراق. وهكذا دعمت تركيا الأتريبيجانين ودعمت إيران الأزمن في معركتهم لاستعادة إقليم ناغورني – كاراباخ.

تميز مطلع السبعينات بمفاوضات امتدت من 1982 إلى 1992 وانتهت ببيانات وزارية. وقد دعا البيان الوزاري السوري – التركي في 3 آب 1993 إلى عدم المساس بحقوق سورية والعراق وتأكيد التعمد بالحصة السابقة من المياه. وصدر بيان مشترك في دمشق بتاريخ 1993/1/20 إثر زيارة وزراء أترك لها. واتفق الجانبان بموجبه على ضرورة اقتسام مياه نهر الفرات بشكل نهائي بين الدول الثلاث قبل نهاية 1993 (سجل لدى منظمة الأمم المتحدة في 1994/ 11/ 16). لكن هذه التصريحات والاجتماعات الفنية الثلاثية لم تسجل إلا فشل إثر فشل منذ عشرة أعوام¹⁵.

ومن الملاحظ أنه منذ الستينات كان يبدأ كل اجتماع بجدار حول معاني الكلمات التي يطلقها الفراقء حول الأنهار. دافع العراق والجمهورية السورية داتماً عن مفهوم الفرات كنهر دولي بينما اعتبرته تركيا عابراً للحدود أو للتخوم وهذا يحمل فروقا كبيرة في القانون الدولي. وقد سارعت كل من العراق والجمهورية السورية إلى تصديق اتفاق الأمم المتحدة حول الأحواض النهرية لعام 1997 وكانوا من الأوائل في ذلك بينما امتنعت تركيا عن تصديقها علماً أن 16 عضوا دولياً قد قبلها حتى الآن وهي تحتاج إلى 35 بلدا في تصحب نافذة، وحجتها أن الاتفاق يعطي حقوقاً لدول أسفل النهرعلى حساب أعلاه. وفي الواقع لم تتغير العلاقات التركية السورية فعلياً إلا انطلاقاً من عام 1998 بعد بروتوكول أضنته الذي تزامن مع انتهاء الحرب الباردة والتوجهات السياسية لحل المسألة الكردية رسمياً مع تركيا (إبعاد أوجلان من الجمهورية السورية واعتقاله من قبل الأترك عام 1999). وأثر وفاة الرئيس حافظ الأسد عام 2000 بدأت محادثات عديدة بين الطرفين حول الطاقة والصناعة وبقيت المياه مستثناة من أية مشاريع عابرة للحدود.

* د. في الحقوق

- janvier 2009. http://entre2O.free.fr/?p=230
- 2010/6/consultation 14
- Marwa Daoudi. Eau et pouvoir. la relation 11 stratégique Irak/Turquie.Géostratégiques n 7. avril 2005.p. 103 – 104
- حمد سعيد الموعد، حرب المياه في الشرق الأوسط، دار كتعان للدراسات والنشر، دمشق 1992، ص. 160 – 161
- جريدة الديار 3 آب 1992
- جريدة الديار 4 آب 1992
- طارق المذبذب، جريدة السفير 1993/10/11
- 2010/6/fr/?p=230consultation 14
- ج. أ. الن وشبلي، الملاء، المرجع السابق، ص. 259
- ج. أ. الن وشبلي، الملاء، المرجع السابق، ص. 257.
- جريدة السفير 11/ 11/ 1990
- جريدة السفير 18/ 1/ 1990
- الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا – الاسكوا، البيئية في السياق عبر الحدودي في منطقة الاسكوا؛ الحالة الراهنة والتوصيات المقترحة، نيو يورك 2005، ص. 43
- جريدة المذبذب، جريدة السفير 1993/10/11
- Tigre et Euphrates Entre Deux EAUX. 14 janvier 2009. http://entre2O.free.fr